

الكشاف

تقادم العهد من أم الوليد بنا ... دهرًا وصار أثاث البيت خرتيا .

قرء على خمسة أوجه " رء يا " وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت " ورئنا " على القلب كقولهم : راء في رأى " ورىا " على قلب الهمزة ياء والإدغام أو من الرقي الذي هو النعمة والترفه من قولهم : ريان من النعيم . " ورىا " على حذف الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف المقلوب وهو " رئيا " بحذف همزته وإلقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها " وزىا " واشتقاقه من الرقي وهو الجمع لأن الزي محاسن مجموعة والمعنى : أحسن من هؤلاء .

" قل من كان فى الضللة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا " .

أي مد له الرحمن يعني : أمهله وأملى له في العمر فأخرج على لفظ الأمر إيدانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة " أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر " فاطر : 37 ، أو كقوله تعالى : " إنما نملي لهم ليزدادوا إثما " آل عمران : 178 ، أو " من كان فى الضللة فليمدد له الرحمن مدا " في معنى الدعاء بأن يمهله الله وينفس في مدة حياته . في هذه الآية وجهان أحدهما : أن تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما أي قالوا : أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا . " حتى إذا رأوا ما يوعدون " أي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين " إما العذاب " في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم . وإما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدره وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا . وأن المؤمنين على خلاف صفتهم . والثاني : أن تتصل بما يليها . والمعنى : أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبأن اللطاف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها . والمراد بالضلالة : ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم إلى القول الذي قالوه . ولا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصره الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها . فإن قلت : " حتى " هذه ما هي . قلت : هي التي تحكى بعدها الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله : " إذا رأوا ما يوعدون... فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا " في مقابلة " خير مقاما وأحسن نديا " لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم . والندي : المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم . والجند : هم الأنصار والأعوان . " ويزيد الله

الذين اهتموا هدى والبقيت الصلحت خير عند ربك ثوابا وخير مردا " .

" ويزيد " معطوف على موضع " فليمدد " لأنه واقع موقع الخبر تقديره : من كان في الضلالة مد أو يمد له الرحمن . ويزيد : أي يزيد في ضلال الصال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه " والبقيت الصلحت " أعمال الآخرة كلها . وقيل : الصلوات . وقيل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأكبر أي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار " وخير مردا " أي مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم : ليس لهذا الأمر مرد : . وهل يرد بكاي زتدا .

فإن قلت : كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه ؟ قلت : كأنه قيل : ثوابهم النار . على طريقة قوله : . فاعتبوا بالصيلم .

وقوله : .

شجعاء جرتها الذميل تلوكة ... أصلا إذا راح المطي غراثا .

وقوله : .

تحية بينهم ضرب وجيع .

ثم بنى عليه خير ثوابا . وفيه ضرب من التهكم الذي هو أغبط للمتهدد من أن يقال له : عقابك النار . فإن قلت : فما وجه التفضيل في الخير كأن لمفاخرهم شركا فيه . قلت : هذا من وجيز كلامهم يقولون : الصيف أحر من الشتاء أي : أبلغ في حره من الشتاء في برده